القصائد

بقلم سلمى الخضراء الجيوسي

ثلاث شاعرات وثلاث قصائد : « نسيان » لفدوى طوقان . « نحن وجميلة » لنازك الملائكة و « الى نجمة الغروب » لملك عبد العزيز .

هناك ميزة واحدة تنتظم هذه القصائد الثلاث ـ سلاسة الايقاع ـ قصيدة السيدة ملك عبد العزيز من الرجز ـ هذا البحر ذي المزالق والمصاعب ـ ولكنها تنجح في اعطائنا نغما حزينا هادئا ملائما كل الملاءمة للحزن الرقيق الذي تريد التعبير عنه . وليلاحظ القارىء كيف تختار الشاعرة الكلمة الاخيرة من كل سطر ، غروب ـ بعيد ـ ظلام ـ اختلاج ـ شعاع ـ تصاعدي ـ رهيفة ـ لتلائم النغم العام . ان القافية هامة ـ وحتى في الشعر القليل التقفية ، فان اخر كلمة في سطر الشعر ، هامة جدا ـ لقد حدث كثيرا في شعرنا المعاصر ان انهى بعض الشعراء اسطرهم بكلمة مثل حب او حرب ـ اي بحرفين صلدين ـ وفي رأيي ان هذا من اكبر عيوب القوافي في الشعر المعاصر .

قصيدتا نازك وفدوى من المتقارب . وتتبع فدوى نظام الشطرين ـ وشعر فدوى شهير بموسيقاه وسلاسته . اما نازك في « نحن وجميلة » فاني اريد ان الفت نظر الشعراء الى هذا النموذج الايقاعي الراقي ـ والوقع الذي يتركه ادخال البيتين القصيرين في كل فقرة بقوافيهما المرادفة جميعها لاسم « جميلة »

ونحن منحنا لوصف جراحك كل شفه
وجرحنا الوصف ، خدش اسماعنا المرهفه

وانت حملت القيود الثقيلة

ان قيمة هذا الوقع لا تظهر هنا ، بل بقراءة القصيدة كلها .

وان كل الحق معنازك ان تحتج على كثرة ما كتب عن جميلة بو حيرد ـ فقد ارهقنا جميعا بذلك . ان جميلة بوحيرد رمز في تاريخ كفاحنا المعاصر ـ ومهما كان الرمز رائعا فانإجتياحه الى هذهالدرجة بكل هذا الشعر امر لا يخلو من التعدي على جلاله وحرمته .

غير انني لم افهم لم تصور نازك جميلة بوحيرد باكية حزينة ـ ان هذا عكس الفكرة التي نحملها عن هذا الرمز الصامد . انها امراة ، بالطبع، ولكنها امراة من نوع آخر ، ونحن لا نحب ان نتصورها باكية .

اما فدوى فقد قامت تعلن نسيانها ـ والحقيقة ان كثيرا من المشاكسة تنطوي وراء سطورهما ـ سيما في الخاتمة :

وقد ضاع وجهك بين زحام الوجوه بافق حياتي المليئه .

وهذا ايضا مفاجاة من هذه الشاعرة الكبيرة التي اغدقت اعذب عواطف الحنان في قصائدها ـ ولعل هذا التغير في فدوى يكون لصالح الشعر فتعطينا لونا جديدا منه .

وقد سبقت نازك فدوى في نظم قصائد الخصام والثورة على الحب واني بحق احب هذا النوع من الشعر الذي لا استطيع ان انظمه ابدا ـ وانه يدل على ان الحوادث غير المستحبة تعيش عند هاتين الشاعرتين وقتا طويلا وتحتفظ بتاثيرها .

نزار قباني وعدوى الاسلوب الشعري

في العدد نفسه قصيدتان احداهما « صيادو الذباب » لخليل خوري ، والثانية « تحية المؤتمر من العراق » لمحمد بحر العلوم ، كل ما يجمعهما هو ما لاحظته من تاثير شعر نزار قباني في اسلوبهما .

ان قصيدة بحر العلوم تذكرنا بقصيدة نزار في الثورة العراقية . وقصيدة خليل خوري تذكرنا باسلوب نزار عامة سيما في قصيدتي « الى مينة » و « رسائل لم تكتب ابدا »:

وعلى ان قصيدة محمد بحر العلوم تشترك في بعض معانيها مع قصيدة نزار ، الا ان قصيدة خليل الخوري في معناها ، لا تضعنا في الجو النزاري ابدا . بل على العكس ، ان شعر نزار لا يحتج على القلق العام المبهم لهذا الجيل ـ بل يساوق تيار اللهو ، واذا احتج انتخب له زاوية معينة وهاجمها ـ اما خليل خوري هنا فقد صور هذا القلق العام وهذا الشعور النزق بضياع الشباب بين احاديث تافهة على طاولات المقاهي. ان احتجاجه مباشر ـ والشاعر يدرك تماما سر المرض والوهن النفسي ـ فتصوير النفسية الضجرة المشدودة الى حياتها الفارغة بجبال قوية يكاد يكون فوتوغرافي الدقة ـ ولذلك فهو لا يترك شيئا للقارىء يستكشفه لنفسه .

ولعل نزار قباني ليس الشاعر الوحيد الذي نرى تاثر اسلوبه في اساليب غيره من الشعراء ـ ولكنه اكثر هؤلاء الشعراء المعاصرين تاثيرا حتى الآن. ولعل سر ذلك يعود اولا الى وضوح شعره وثانيا الى سهولة اسلوبه وثالثا الى اتسام اسلوبه بالاصالة والاخلاص ورابعا الى لغته التي هي اقرب ما يمكن الى اللغة المعاصرة ، فهو يتحدث الى الناس بلغتهم المالوفة ، وخامسا الى نوع تجاربه . ان التجربة في شعره تكون عادة مساوقة لتجارب الاخرين ، فهذا الاسلوب المالوف الذي يحدثنا عن تجارب نالفها لا يعدم ان ينسجم مع القاريء روحا وتعبيرا بحيث يتضاعف تاثيره عليه .

نزار قباني ولغة الشعر المعاصر :

ولعل سر اعجاب الكثيرين بشعر نزار قباني لا يعود فقط لان نزارا يمتلك ناحية التعبير الشعري فطرة وسليقة ، ولان شعره يكشف عن سهوله في اداء التعبير المبتكر لا اثر للعمل فيها او للدرس ، فكان الكلمات تخلق وتتدفق قبل ن يعيها عقله ، بل لان نزارا في الدرجة الاولى يعرف كيف يستعمل في اغلب شعره الكلمة الطازجة والتعابير المعاصرة دون ان يثقل شعره بتعابير عصور تقضت واجيال من المقلدين. انه يحدثنا بلغتنا نحن ، لا بلغة القرون الوسطى ، وهو ياخذ العبارة من افواهنا وبلمسة رفيقه يحيلها الى جزء من قصيدة .

نقد الابحاث

كانت « الآداب » قد عهدت في نقد ابحاث العدد الماضي (وهي موضوعات البطولة في الادب العربي) الى الاديب العربي الاستاذ سامي الدروبي الذي حضر مؤتمر الادباء العرب في الكويت . ولكن الاستاذ الدروبي اعتذر في آخر لحظة لاضطراره الى السفر خارج الاقليم الشمالي. و«الآداب» تعتذر بدورها الى القراء عن عدم نشر نقد للابحاث الهامة التي قرأوها في العدد الماضي، بسبب هذا الظرف القاهر .

« الآداب »

اننا في شعرنا المعاصر نجتاز ثورة حقيقية كبيرة ـ ثورة في الشكل الشعري وفي المضمون وفي التعبير وفي اللغة ـ ولعل اختيار الكلمة المعاصرة واقتباسها للشعر من اشق ما يحاوله الشاعر المعاصر لتسلط التعبير الشعري التقليدي على اسماعنا وتبادر كلماته الى تعابيرنا ، وقد استطاع الشعراء المعاصرون الذين ثاروا على الشكل الشعري التقليدي ونظام الشطرين في القصيدة ان يتخلصوا بسهولة اكثر من تسلط التعابير التقليدية على اذهانهم لان هذه التعابير اسرع الى الانسياب في الاشكال الشعرية التقليدية لاقتران هذه التعابير بموسيقى الشعر القديمة المألوفة. فلما تغيرت الموسيقى الشعرية سهل اشتقاق التعابير الجديدة واقتباسها من حياتنا المعاصرة . اما نزار قباني فانه اظهر هذه المهارة في جميع انواع شعره ـ في شعره المبني على الاوزان التقليدية ، وفي شعره المتحرر منها، وبهذا اثبت جدارة شعرية تلفت الانظار ـ ولعله بهذه المهارة الفائقة في استعمال التعبير المعاصر في الشعر بكل هذه السهولة قد اثر في تطوير اللغة الشعرية المعاصرة تاثيرا يستحق ان يدرسه النقاد المعاصرون دراسة واسعة متمعنة .

في قصيدته « ثلاث قصائد من آسيا » امثلة كثيرة على هذا :

يا ارنبي الجميل ـ يا رغوة الحليب(١) ـ بلا خبز بلا طعام ـ عمر قطعتي حلي ـ بالف كنز ـ مذهل مثير . والحقيقة ان جل تعابيره عصرية جدا . احب كثيرا الصورة الشعرية في قوله :

والليل في هنكونج صندوق من الحلي
بعثره الله على الجبال

انه يذكرني بحيفا في فلسطين المحتلة ، وهو تصوير جميل بنفسه .

وقد لاحظت ان نزارا يصور نفسه سندبادا جديدا ، ان كل ما اتمناه هو ان لا يستمر في ذلك . فقد اصبح عندنا اكثر من سندباد في الشعر المعاصر .

ما زلت في سفينتي
اصارع الشموس واللصوص والدوار

وكل هذه التعابير التي تقترن بالسندباد ـ القتل ، الغرق ، والبحار السبع ، والخطر والكنوز والاماء والذهب والحرير الخ.

بقي ان اعرب عن امنيتي ان يفاجئنا نزار بقصيدة من نوع اخر ـ كدفقة انعاش .

الاوبريت والكورس

الشاعر نقولا قربان يكرس قصيدة طويلة لواحدة من الخاطئات . والقصيدة اوبريت مؤلفة من نوال ، الخاطئة ، والكورس .

واذا كان يعني الشاعر ان تغنى هذه القصيدة ، لو فرضنا صلاحيتها الشعرية ، فاني اعتقد ان شعرها المتوازن اجمالا لا يصلح للغناء الاوبري المعقد . انه قد يلائم غناء الكورس فقط ـ ولكن الشعر على لسان نوال يجب ان يكون منوع التفاعيل. ان الغناء الاوبري معقد صعب ويحتاج الى دراسة طويلة وثقافة موسيقية واعية .

ولا بد من الحديث عن الكورس وسرد كلمة تاريخية مختصرة عنه لمصلحة من جهل ذلك من القراء . بدا الكورس عند اليونان ـ وقد كان اولا مؤلفا من جماعة من الرجال يغنون ويرقصون في الاعياد الدينية ـ وبالتدريج بدا اليونان يضيفون ادوارا كلامية حتى نشات المسرحية اليونانية من هذا النوع من الاحتفالات ، وقد كانت اغاني الكورس تاخذ القسم الاكبر من المأساة اليونانية في اول الامر ـ ولكنها بعد ذلك اصبحت تتالف من جماعة من المتفرجين الذين كانوا « يعلقون » بين الفينة والفينة على سير الحوادث دون ان يؤثروا في تطورها .

وقد اخذ كتاب المسرحية الرومان الكورس عن اليونان وعنهم اخذها الانكليز في القرن السادس عشر. غير ان الكورس الكلاسيكية لم تستعمل عند الكتاب الانكليز بكثرة ولعل اعظم مؤلف ادرجت فيه كان ماساة جون ملتون الشهيرة « سامسون اجونستس » وقد استعمل كتاب المسرحية الانكليز ، في العصر الاليزابيتي ، عصر المسرحية الذهبي عندهم ، استعملوا الكورس احيانا مؤلفا من شخص واحد يتلو البرولوج والمنولوج للمسرحية كما فعل مارلو في دكتور فاوستس وشكسبير في هنري الخامس.

وقد استعمل الدكتور عبدالله الطيب فكرة الكورس في مسرحية «ازواج السمر » و « الغرام المكنون » اللتين صدرتا حديثا في السودان . وقد كان استعماله للكورس هنا على طريقة المأساة اليونانية ـ فلم يكن لمغني الكورس دخل في تطور حوادث المسرحيتين وانما كانوا يلمحون تلميحا اليها تارة مفسرين ، وتارة متنبئين وتارة معلقين ، بحيث يوجهون عاطفة المستمعين في المنحى الذي يريده الكاتب . انني اعتقد ان الدكتور الطيب كان ناجحا جدا في استعمال الكورس ولعلها من اقوى عناصر مسرحيته.

وفي اوبريت نقولا قربان لا تقوم الكورس بدور المعلق الذي يكتفي بالالماح والتعليق ـ بل تقوم بدور المحدث والقصيدة كلها عبارة عن اخذ ورد بين الكورس والخاطئة .

شعرنا والخاطئات :

حاولت جهدي ان اجد في « اوبريت » نقولا قربان « بطولة » شيئا اعمق وافضل مما ظهر لي اول الامر لدى اولى قراءاتي لها ـ ولكني لم استطع ان اظفر بما كنت اريد التوصل اليه ، ان المعنى الاجتماعي لهذه القصيدة ركيك لا يقنع القارىء . عنوان القصيدة وطولها واللمحات التي تلمح اليها بعض عباراتها تجعل القارىء يعتقد ان الشاعر يتناول موضوعا حيويا . انه يتحدث عن الخاطئة وعن بعث الشرق ويهيب بالخاطئة ان تغتسل من خطاياها لان الشرق قد اصبح يختار البطولة ، انه رغم اهمية موضوع البعث في الشرق ورغم اهمية موضوع الخطيئة ، فان

(١) التعبير بكامله «يا رغوة الحليب والرخام!» انه لا يمكن اسناد الرغوة الى الرخام بحال من الاحوال .

الشاعر لا ينجح في ان يجعل من هذين الموضوعين ، مقترنين مدموجين هكذا قسرا ، مشكلة ، حيوية يعالجها ، او ان يبرز لنا موقفا معينا ذا اهمية يترك في نفوسنا اثرا او يسلط ضوءا على زاوية الموضوع تكشف لنا ناحية ذات قيمة حيوية او ذات اثارة معنوية لنا . انني احب شعر نقولا قربان المنثور واتمنى ان لا يتخلى عنه فهو من كتابه البارزين . اما هنا فان هذه القصيدة لا تصل الى شيء من قيمة شعره المنثور ابدا . انها تحمل روح الصنعة والتكلف ـ هذا عدا عن ان فكرة استيحاء الخاطئة لبطولة الشرق كي تفتسل من خطاياها لا تحمل معنى مقنعا . الخاطئات جزء من كل مجتمع ـ وانني احيل القاريء الى قصة كتبتها القصاصة البارعة الصديقة سميرة عزام واهدتها الى « واحدة منهن » ايام الفيضان في لبنان ـ لقد كانت تلك الخاطئة اكرم وابسل من تبرع لمنكوبي الفيضان ـ والقصص الغربي حافل باعمال بطولية قامت بها خاطئات .

وان موضوع الخاطئات نفسه موضوع جرج في الشعرالعربي.والحقيقة ان هذه الناحية في شعرنا تحتاج الى بحث طويل مركز ـ فقد كثر ذكر الخاطئات والعطف عليهن في الشعر المعاصر ـ واصبح ضروريا ان يبحث النقد اسباب هذه النزعة والتيارات الادبية التي غذتها ... واحتمال اصالتها او عدم اصالتها ، واختلاف معالجة الشعراء المتعددين لها وتعليل هذا الاختلاف .

الشعر المعاصر وفوضى التعابير والمعاني والصور :

في الحقيقة ان شعرنا المعاصر حافل بالتعابير الفجة والمعاني غير الواضحة والصور التي لا يمكن تخيلها والتي تجيء احيانا مضحكة او خالية من اي مدلول معقول . وسوف احاول ذكر بعض هذه التعابير في بعض قصائد هذا العدد :

من «عيد الميلاد في بغداد» :

اجد السماء نظيفة السنا (نعت السنا بالنظافة)

ودم المحبة سال ابيض خابطا (آمل ان تكون هذه اللفظة قد وردت سهوا)

خضر الحدائق وانتهي عمر العنا (تعبير غير جميل) .

من « غنوة وداد لجميلة بو حيرد » :

يا نجمة عطر عربي الطيب (آمل انتكون هذه غلطةمطبعية ايضا)

وترف على هودجها الطارق ابوابا من ورد (ما هو الهودج الطارق ، ما هي الصورة الشعرية التي يرمي اليها الشاعر ؟)

فاهب من النوم واصرخ محموما يا شار

اغرزها في صدري يا شار

ان اول ما يلفت النظر هو التعبير والصورة التي يتخيلها الانسان ـ للشاعر ـ ثم هذا الترخيم لاسم شارة الضابط المظلي .

من « بطولة »

يقول الشاعر على لسان نوال الخاطئة

هذي انا بنت السراب

بنت الرجال القاطعين الغاب

فماذا يعني ببنت السراب ، ومن هم الرجال القاطعون الغاب

ثم يقول على لسانها ايضا

خلقت لا حبا ولا نخوة

انا افهم انها قد تقول انها لم تولد بالحب وانما لا نخوة ؟ ما معنى هذا ؟

ثم يقول على لسان الكورس

اما سمعت زارة الزائر

في عمقها الثوري

دار النشر للجامعيين

صدر عنها حديثا

(١) الجمهورية العربية المتحدة

طبعة ثانية جديدة

مع فصل ضاف عن الثورة العراقية

بقلم الدكتور محمد مجذوب

(٢) هذا التاج

طبعة ثانية جديدة

قصة الثورة على الظلم الاجتماعي والاستبداد

باسلوب اخاذ يذكرنا بقصص كليلة ودمنة

للاستاذ واصف البارودي

(٣) قبل ان يتفلسف الانسان

(في موسوعة الثقافة الفلسفية)

اول كتاب من نوعه في العربية يبحث في حياة

الانسان وعقليته قبل نشوء الفلسفة

بقلم الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

اذ تشعل الشرق منائر
وتوقظ القمري
ليملأ الارض بشائـر
بلحنه الخمري

فاول شيء لا نحبه هنا هو تعبير زارة الزائر ـ ثم لو قبلنـاه فاننـا لا يمكننا ان نقبل الفكرة انها تشعل الشرق منائر ـ ثم كيف يكون اللحن خمريا ؟

ثم ما معنى قوله على لسان نوال
وضيعة يخدعني الشعراء
او قوله على لسان الكورس مخاطبا نوال
كانما اليأس عريس او اله تعبدينه
ثم ما هي الصورة الشعرية هنا
عيناك عين من خيانات واخرى بعض زينه
ثم قوله
في لثغة عربية مجدولة مثل جديله

كيف تجدل اللثغة ، ثم ان تعبير مجدولة مثل جديلة ضعيف بحد ذاته. ثم هذا المعنى المؤذي

ان خطيئات دليله
قد كفرت عنها جميله !

من قصيدة « طفل اعرج في ليلة الميلاد » :

ان التعبير اجمالا في هذه القصيدة لا بأس به وان كان الشاعر يضعف احيانا الى درجة غير قليلة

فلقد رأيت الامس طفلا فوق ساق واحدة
من يصنع العـــكاز للاطفال جطم ساعده الخ

وبعد فاني اود ان اعتذر للشعراء جميعا على قصوري نحوهم ـ فانـه من غير الممكن ان يلم النقد بكل شيء ـ وهناك شعراء لم اتعرض لهـم ابدا ـ وهناك شعراء اشعر بالاسف لاني تعرضت لنواحي الضعـف لا لنواحي الجمال في قصائدهم . اود ان اشير بصورة خاصة لقصيـــدة سليمان العيسى التي لم ادخلها في نقدي ـ فهي كباقي شعره الـذي يستحق النقد كمجموعة كاملة آمل ان يسعدني الحظ بالحديث عنهـا واني ارى ان سليمان العيسى ما زال يتبع نفس النهج بعد ان راينـا اخاه يوسف الخطيب يدور مع دورةالزمـن وينظم الشعر الحر مؤخرا . اما خليل حاوي فقصيدته « الجزار » التي يهجو بها كافورا معاصرا تحمل معاني مباشرة اكثر من شعره الاخر والرموز فيها لا تعمق الى اكثر من دلالتها الظاهرية ـ غير انه جاءنا فيها بتعبيرين مبتكرين على غاية من الروعة وهمـــا :

لن تعرف المرج الذي يحبو
ويفرش بيتنا غب الصقيع
والشمس تاوي من ضباب القطب
تدفئها وتمضي مطمئنه

وتحياتي للشعراء الستة عشر جميعهم (*)

سلمى الخضراء الجيوسي

(*) ارفقت الناقدة الفاضلة بهذا النقد دراسة تفصيلية من وحي قصائد العدد الماضي بعنوان « بحر الرجز في شعرنا المعاصر » وقد رأينا ان نرجيء نشرها الى العدد القادم لضيق المقام

« الآداب »

مجموعة تراث العرب

صدر منها	ق.ل.
★ لسان العرب ٦٥ جزءا ثمن الجزء	٣٠٠
★ معجم البلدان ٢٠ جزءا ثمـن الجزء	٤٠٠
★ الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٢ جزءا ثمن الجزء	٢٥٠
★ رسائل اخوان الصفاء ١٢ جزءا ثمن الجزء	٣٠٠
★ البخلاء للجاحظ	٦٠٠
★ مجمع البحرين لليازجي	٦٠٠
★ مقامات الحريري	٧٥٠
★ مصارع العشاق جزآن	١٢٠٠
★ ديوان ابن الفارض	٦٠٠
★ سقط الزند لابي العلاء المعري	٤٠٠
★ ديوان عبيد بن الابرص	٤٠٠
★ شرح المعلقات السبع	٣٠٠
★ ديوان عنترة	٥٠٠
★ ديوان امرىء القيس	٤٠٠
★ ديوان المتنبي	١٠٠٠
★ ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات	٦٠٠
★ ديوان الفرزدق قيد الطبع	
★ ديوان جرير قيد الطبع	

الناشر : دار بيروت ـ دار صادر